

الفصل الثاني :

العمل التطوعي في الحضارات

القديمة والأديان السماوية

إن العمل التطوعي في المجال الاجتماعي نشأ بنشأة الإنسان. فقد نشأ في كل مجتمع إنساني. وفي كل مكان نشأت فيه حضارة من الحضارات. أو ديانة من الديانات. وقد تطور العمل الاجتماعي بتطور المجتمعات الإنسانية .

العمل التطوعي في الحضارات القديمة :

١ - قدماء المصريين :

دلت الصور والرسوم الموجودة على جدران معابد قدماء المصريين وقبورهم على أن العمل الاجتماعي التطوعي المتمثل في مساعدة الفقراء كان موجوداً لديهم خاصة في حفلات الأسر الملكية. وكان المواطنون العاديون يقدمون تبرعاتهم للمحتاجين. فقد كانت المعابد هي التي تتلقى تلك المساعدات والتبرعات من محاصيل الأرض. ومنتجات الماشية. لتوزيعها على الفقراء بمعرفة الكهنة. فقد عرف قدماء المصريين الكثير من أعمال التطوع الاجتماعي في مجال البر والإحسان.

٢ - الرومان والإغريق :

كانت الحضارة اليونانية معاصرة لحضارة قدماء المصريين وقد كان اهتمام أغنياء اليونانيين القدماء موجهاً لرعاية أبناء السبيل وتوفير الطعام والمأوى للغرباء. وتقديم المساعدات للمحتاجين. والغالب على هذه الحضارة قيام خزانة الدولة نفسها بالرعاية الاجتماعية لشعبها.

أما الرومان فقد انقسم مجتمعهم إلى أشراف وعامة. أما الأشراف فقد كانوا يملكون كل شيء. والعامة أتباع للأشراف وليس لهم حقوق أو كيان. وقد تطورت الأمور في هذه الحضارة بعد كفاح العامة الذي أدى إلى تحقيق المساواة بين الجماعتين . وفي هذه الحضارة أي الرومانية كان العمل الاجتماعي التطوعي يتمثل في طبقة النبلاء . يوزعون القمح على الفقراء عندما يشند القحط.

العمل التطوعي في الأديان السماوية :

عرفنا أن الرعاية الاجتماعية والعمل التطوعي الاجتماعي وجدا منذ القدم. وقبل ظهور الأديان السماوية. إلا أنهما لم يتخذا طريقاً واضحاً إلا عند نزول أول الشرائع السماوية. فقد دعت الأديان السماوية الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام الى العمل التطوعي في المجال الاجتماعي. ونستطيع أن ندلل على هذا من خلال استعراض لبعض ملامح الرعاية الاجتماعية كما وجدت في الأديان السماوية:

١ - اليهودية :

كثير من نصوص العهد القديم تحدد نماذج لما نعرفه اليوم باسم الرعاية الاجتماعية والعمل التطوعي من خلاله، وأصدق دليل على ذلك الوصايا العشر التي نزلت على موسى عليه السلام، والتي منها :

- طوبى للذي ينظر للمساكين في يوم الشرّ ينجيه الرب .
- افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك .
- من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معرفه يجازيه .
- من الضروري تقديم يد العون والمساعدة للفقير والمسكين والمضطّر. لا ينهر الفقير ولا يحقر المسكين .

٢ - النصرانية :

جاءت النصرانية في أصولها غير المحرفة مكملّة للديانة اليهودية واستمراراً لها في اتجاهاتها نحو الإحسان ورعاية المحتاجين. وفي كثير من نصوص العهد الجديد (الإجيل) جُذ الأصول الأولى للرعاية الاجتماعية، التي يعبر عنها في مواضع كثيرة:

- بالصدقة يقبل الصوم، ومعها تقبل الصلاة .
 - من سألك أعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .
 - الله سبحانه وتعالى يكافئ من يشبع الفقير .
 - كل أنواع الهبات مرغوب فيها .
- وقد اهتمت النصرانية برعاية الأيتام والأرامل، وأنشأت بيوت المحبة (الملاجئ) وفي كل الأحوال هناك دور كبير للعمل الاجتماعي، فالنصراني الموسر يعطي الكنيسة لعمل المشروعات الخيرية المختلفة .

٣ - الدين الإسلامي :

لما كان الإسلام آخر الديانات السماوية، فقد جاء بنظام متكامل للرعاية الاجتماعية، يقوم على أساس التكافل الاجتماعي والتعاون بين الناس في سبيل الخير، وحض الإسلام على البر والرحمة والعدل والإحسان، وفي هذا يقول الله تعالى

: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١). وفي آية أخرى يقول - عز وجل - : ﴿ وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ (٢). وفي الحديث الشريف قوله ﷺ : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به» (٣). كما حث الإسلام على بذل المعروف، وإصلاح ذات البين، وكفالة اليتيم... وغيرها من وجوه البر والإحسان.. ففي الحديث الشريف: « ألا أخبركم بأفضل درجة من الصيام والصلاة والصدقة، إصلاح ذات البين » (٤) وفي الحديث: «خير الناس أنفعهم للناس» (٥).

وقال الرسول ﷺ : «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» (٦) وأشار بالوسطى والسبابة. وقال : « بينما رجل يمشي في طريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله له فغفر له» (٧). وفي لفظ آخر « لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس» (٨). وفي الحديث : «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل والنهار» (٩). وفيه : « من أفضل العمل إدخال السرور على المؤمن تقضي عنه ديناً، تقضي له حاجة، تنفس له كربة » (١٠). لا يسعنا في هذا المقام أن نحصر ما جاء من آيات كريمة وأحاديث شريفة تدعو إلى التكافل الاجتماعي والرعاية الاجتماعية للمحتاجين فهي كثيرة في هذا الشأن .

(١) سورة فصلت، من الآية : ٣٤.

(١) سورة البقرة، من الآية : ١٧٧.

(٢) أخرجه الطبراني والبخاري والألباني برقم (١٤٩).

(٣) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي. وصححه الألباني في المشكاة برقم (٥٠٣٨).

(٤) أخرجه الطبراني والدارقطني والبيهقي والألباني في الصحيح برقم (٤٢٦).

(٥) أخرجه أحمد والبخاري عن سهل بن سعد.

(٦) أخرجه مالك وأحمد والبخاري عن أبي هريرة.

(٧) أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

(٨) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٩) أخرجه الألباني في صحيح الجامع. وأخرجه بقريب من معناه ابن أبي الدنيا والبيهقي.

